((العلامة المحدث حماد الأنصاري-رحمه الله- في السودان))!!

-فوائد من رحلة هذا المحدث في مروره بالسودان-

جمعها ورتبها:

يوسف بن إبراهيم بن علي بن محمد خير-عفا الله عنه-

المدينة النبوية ١٤٤٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الله أجمعين، ورضي الله عن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه فوائد نفيسة جمعتها من خلال قراءتي في ترجمة العلامة حماد الأنصاري-رحمه الله-، وهي كلمات تتعلق برحلته إلى المدينة، وكان قد مر فيها بالسودان.

ولم أقصد التعليق عليها، وإنما اكتفيت بسردها مع جعل عناوين مناسبة للموضوعات والفوائد التي ذكرها الشيخ-رحمه الله-.

وكذلك لم أترجم للشيخ-رحمه الله-؛ ومن أراد الوقوف على ترجمته والاستفادة منها؛ فعليه بالرجوع إلى كتاب ((**المجموع في ترجمة العلامة حماد بن محمد الأنصاري-رحمه الله-**))، لمؤلفه عبد الأول بن حماد الأنصاري.

وأسأل الله جل وعلا أن يجعل عملي نافعاً ولوجهه خالصاً.

والآن أشرع في مقصودي مستعيناً بالله متبركاً به متبرأً من الحول والقوة إلا به.

(١)

قلت: صدق -رحمه الله- أرض خصبة وبيئة مناسبة!!

قال الشيخ-رحمه الله-: ((ولولا مكة والمدينة لما تركت السودان؛ لأن الدعوة فيها جيدة))[١]

وقال: ((لولا أني خرجت من البلاد للهجرة إلى الحرمين لكنت أقمت في السودان أثناء ما مررت بها، فقد كانت السودان في أيام بقائي فيها وذلك سنة ١٣٦٦هـ يُضرب بها المثل في التمسّك بالإسلام والأخلاق والعروبة))[٢]

---

(١) المجموع ٢-٧٧٦

(٢) المجموع١-٤٢٠

(٢)

جريمة صوفية؛ قابلتها نخوة سودانية!!

قال الشيخ –رحمه الله–: ((لما كنتُ في السودان عند خروجي من "مالي" حصل أن قام علينا الخرافيون هناك يريدون أن يضربونا بالعِصي، ولكن منعهم الله، ولله الحمد.

وقال: ثم طاردونا إلى حيث نسكن، وأمروا من نزلنا عليه بأن يخرج مالنا من العفش إلى الشارع حتى ينفرونا، ولكن ساق الله عز وجل لنا ناسًا من أنفسهم منعوهم من أذيتنا أخذتهم حميّة الكرم والضيافة)).[١]

(٣)

من الجنينة إلى بورتسودان!!

قال الشيخ –رحمه الله–: ((قطعت السودان من الشرق إلى الغرب)).[٢]

(٤)

واليوم علم الحديث لا بواكي له!!

قال الشيخ–رحمه الله–: ((أول ما عرفت كتب الحديث في السودان لما دخلتُها))[٣]

وقال:((وأكثر كتب الحديث اشتريتُها من السودان)).[٤]:

وقال: ((بدأت في إنشاء مكتبتي سنة ١٣٦٦هـ وكانت البداية من السودان))[٥]

وقال: ((وكانت في (بورسودان) مكتبة عظيمة، فيها كلّ شيء، وكان المسئول عنها مصريًّا، وكنت دائمًا عندَه اشترى الكتب حتى اشتريت صناديق كثيرة من كتب الحديث والعقيدة))[١]

---

(١) المجموع١-٣٩٥

(٢) المجموع١-٤١١

(٣) المجموع١-٤١٣

(٤) المجموع٢-٨٤٧

(٥) المجموع٢-٨٤٩

(٥)

شهادة حق؛ ولكن متبعي الشهوات يريدون بكم السوء؛ فانتبهوا!

((لولا أني خرجت من البلاد للهجرة إلى الحرمين لكنت أقمت في السودان أثناء ما مررت بها، فقد كانت السودان في أيام بقائي فيها وذلك سنة ١٣٦٦هـ يُضرب بها المثل في التمسّك بالإسلام والأخلاق والعروبة)).[٢]

(٦)

هذا أقل أفعالهم وبدعهم!!

قال الشيخ-رحمه الله-: ((حضرت وفاة المرغني في السودان، وقد ضيّفني ضيافةً غريبة، حيث دعاني للحضور عنده فجئتُ إلى بيته وهو محاصَرٌ بالجنود المستعمِرين- بريطانيا- والحكومة السودانية تحرُسه.

وكانت السودان في ذلك الوقت مرتاحة راحة كاملة، وهذا سنة ١٣٦٧هـ.[٣]

وفي يوم موته حصل مأتم لم أرَ مثلَه في العالم، حيث اجتمع السودان كلّه بجميع الناس نساء وأطفال وغيرهم، والنساء ترفعن الترابَ وتضعنه فوق رؤوسهنّ، وداروا بالمرغني في كلّ الحارات)) [٤]

---

(١) المجموع١-٢٥٢

(٢) المجموع١-٤٢٠

(٣) أيام زاهرات جميلات؛ واليوم تغير الحال كثيراً نسأل أن يردنا إلى الحق ويفتح لنا أبواب رحمته

(٤) المجموع٢-٦٠٢

(٧)

الدكتور الركابي؛ يكشف أقوال الترابي!!

وقال-رحمه الله-: ((التقيت بالترابي في المدينة المنورة وعرفت اتجاهه)).

وقال أيضاً: ((إن الترابي فيلسوف كبير، وهو المسيطر على الحكومة السودانية)).[١]

قلت[٢]: كان الوالد رحمه الله تعالى يذم الترابي ولا يمدحه، **ومرة قرأ أحد طلبة العلم السودانيين واسمه عارف** على الوالد مذكرة فيها أقوال الترابي وأفعاله في السودان فقلما قرأ هذا الطالب شيئاً من أفعال الترابي وأقواله إلا يقول الوالد: معلقاً على بعض عبارات الترابي المنقولة هذه عبارة كفر هذه عبارة كفر وهكذا.[٣]

(٨)

أبو طاهر السواكني محدث نبيل؛ قل من يعرفه!!

قال الشيخ-رحمه الله-: ((لما دخلت السودان سنة ١٣٦٧هـ رأيتُ طاهر السواكني فإذا هو حافظٌ كبير، وله حلقة كبيرة". ثم قال: "التقيت في السودان بموسى عبد الحفيظ، وهو أيضًا بعد طاهر في العلم والحفظ)).[٤]

وقال-رحمه الله تعالى-: ((قابلت ببور سودان حال مروري بها الى المملكة العربية السعودية الشيخ أبا طاهر السواكني -رحمه الله تعالى- وجلست في حلقته وكان من أهل الحديث وكان سبباً فى انتقالي إلى علم الحديث فأشتريت من بور سودان كتب الحديث)) [٥]

وقال-أيضاً-: ((ولما كنت في السودان التقيت بطاهر بن إسماعيل وهو طالب علم جيد، وكذلك بشيخه عبد المجيد بن موسى وعبد المجيد كان محدثاً يقرئ الحديث في المسجد الجامع في بورتسودان، وكذلك طاهر بن إسماعيل السواكني كان محدثاً"))[٦]

---

(١) المجموع٢-٦١٢

(٢) القائل هو :عبدالأول ابن الشيخ حماد

(٣) المجموع٢-٦٢٧

(٤) المجموع٢-٦٣٨

(٥) المجموع٢-٦٣٧

(٦) المجموع٢-٧٧٦

(٩)

والشيء من معدنه لا يستغرب!! حفظ أنصار السنة وبارك فيهم!

قال الشيخ-رحمه الله-: ((لما كنت في السودان نزلت ضيفاً على جماعة أنصار السنة وأسكنوني في قصر جميل))[١]

وقال: ((....ومنها سافرنا إلى الخرطوم العاصمة المثلثة، واستقبلنا فيها أنصار السنة في (أم درمان) استقبالاً رائعًا؛ والسببُ في ذلك: أن الشيخ المدني أعطانا رسائل إلى أنصار السنة، ولما قرأ الرسالة أكرمونا إكرامًا كبيرًا عند الشيخ إسماعيل طاهر حوالي عشرة أيام، وقد أخذ الهاتف واتصلت برئيس أنصار السنة في (أم درمان) واسمه طاهر كردي، وأخبره أننا متوجهون إليهم، وقد سافرنا في القطار وعلى نفقة أنصار السنة، وعندما وصلنا إلى (أم درمان) استقبلنا أنصار السنة هناك وعلى رأسهم الشيخ طاهر كردي؛ وقد كان استقبالاً رائعًا وقد أنزلونا في قصر من الطراز الحديث، فيه مكتبة كبيرة رائعة كلها من كتب الحديث والعقيدة؛ وهذه المكتبة التي عرفت فيها كتب الحديث والعقيدة؛ وكان المسئول عن المكتبة يأتينا كل صباح ويفتح لنا المكتبة، وقمت بتقييد أسماء الكتب، وبدأتُ بشراء كتب الحديث.

واستفدتُ هناك فائدة لم استفدها طوال رحلتي؛ حيث تعرفتُ على كتب العلم، وصرتُ أشتريها، لأن معي نقود كثير، حيث خرجت من البلاد ومعي ١٥٠جنيهًا مصريا، وهذا مبلغٌ كبير؛ وعندما وصلت إلى جدة في تلك السنة صرفت الجنية بخمسة عشر ريالاً سعوديًا.

وبقيت في (أم درمان) مدةً ندرُس ونتجوّل حتى صرنا نذهب إلى البر وإلى القرى، نلقي الدروس والمحاضرات))[٢]

وقال: ((فلما وصلنا إليها من الضحى إلى الضحى فإذا رئيس أنصار السنة هو والإخوان واقفون ينتظرونا، ونزلنا وهم واقفون، ثم أخذونا إلى أم درمان، لأن أم درمان هي البلد فيها مركز أنصار السنة الذي منه إسماعيل طاهر الذي جئنا من عندِه من مدينة الأبيض.

---

(١) المجموع٢-٧٧٥

(٢) المجموع١-٢٥١

ولما وصلنا إلى أم درمان نزّلونا في قصر من الطراز الحديث -قصر في ثلاثة أدوار-، وهذا القصر الدور الأسفل كلُّه مكتبة للمطالعة، والدور الثاني والذي فوقه هذا للسكنى، نزلونا في هذا القصر على شاطئ النيل جهة أم درمان بقرب بيت عبد الرحمن المهدي.

فالشاهد: ضيّفونا في هذا البيت، ولم يتركوا أحدًا يسكن معنا في هذا القصر، القصر تركوه لنا نحن أربعة أنفار مع المكتبة.

وهذه المكتبة فيها عرفت كلّ ما يتعلّق بعقيدة السلف، في هذه المكتبة عرفت العقيدة السلفية، وكتب الحديث التي كان حامد فقي يبعثها لأنصار السنة في أم درمان من مصر، لأن هذا الفرع فرعٌ لأنصار السنة في القاهرة.

أخذنا تقريبًا شهرين في هذا القصر، ومنعونا من أن ننفق على أنفسنا، وإنما إذا أردنا أن ننفق شيئًا أنفقنا سرًّا، أما علانية فلا يمكن أن ننفق شيئًا، وأخبرناهم أن عندنا فلوس كثيرة، قالوا: لا، هذه الفلوس أمامَها مسئوليات، أنتم تذهبون إلى الحجاز والحجاز يغلب عليه الفقر - قالوا هذا -في ذلك الوقت))[١]

(١٠)

ولا زالوا في رقصهم ومجونهم!!

وقال-رحمه الله-: ((أقمت في السودان عشرة أيام فقط، ورأيت بها الصوفية يرقصون ويغنون، وكانت رؤيتي لهذا المنظر أول مرة. وَدَرَّسْتُ العقيدة في بورسودان وفي جنينة وأم درمان، وكذلك الحديث والفقه المالكي، وكنت أُدَرِّسُ مقدمة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه ومختصر خليل، وفي الحديث عمدة الأحكام.....

دخولي السودان كان قبل دخول الشيخ الأمين الشنقيطي صاحب التفسير))[٢]

---

(١) المجموع٢-٧٩٧

(٢) المجموع٢-٧٧٦

(١١)

انتبهوا يا ناس الثروة الحيوانية؛ لهذا الكنز!!

قال –رحمه الله–: ((أكبر جمال رأيتها جمال دولة السودان طويلة وضخمة)).[١]

وقال : ((في رحلتي إلى السودان لم أر مثل إبلها ضخامة))[٢]

(١٢)

الخرطوم بحري أم درمان!!

قال –رحمه الله–: ((كنت أدرس في الخرطوم العاصمة المثلثة)).[٣]

(١٣)

ماء زمزم لما شرب له!!

قال –رحمه الله–: ((خرجت من البلاد (مالي) متسللاً وركبت جملاً وسقت جملاً آخر وضعت عليه ما أحتاج إليه في الرحلة وأخذت على ظهر الجمل أربعة أشهر وكنت لا أرتاح خلالها إلا قليلاً، حتى صرت أبول دماً في أيام الصيف، ولما وصلت السودان دخلت المستشفى، فمكثت شهراً فلم يستطع علاجي، ثم بعد أن مكثت في السودان زمناً أكملت الرحلة حتى بلغت مكة لخمس ليال مضت من رمضان وشربت من ماء زمزم بنية الشفاء، فبعد الفراغ من شربه بوقت يسير خرج مني حجران مع البول)).[٤]

(١٤)

الكرم السوداني يعرفه القاصي والداني!!

قال –رحمه الله–: ((في أثناء رحلتي إلى الحرمين أقمت في السودان، فلم أر أكمل كرماً منهم، وهم يطمع في السكنى بينهم)).[٥]

---

(١) المجموع٢-٧٧٦

(٢) المجموع٢-٧٨٠

(٣) المجموع٢-٧٧٨

(٤) المجموع٢-٧٧٨

(٥) المجموع٢-٧٧٩

وقال: ((ولما وصلنا إلى جنينا سألت عن رئيس القضاة، حيث كانت عندي تعليمات سابقة أننا إذا وصلنا إلى مدينة جنينا فاسألوا عن رئيس القضاة فإنه رجل عظيم، فدلونا عليه، فجئنا عنده وسلمنا عليه، ورحب بنا، وسكّننا في بيت، هنا عرفنا الناس، أول نحن ضائعون، ولكن لما وصلنا إلى السودان عرفنا الناس، وبقينا عنده مدّة، حتى استرحنا.

((وانطلقنا من مدينة جنينا إلى مدينة (الأبيّض) ، والأبيض والجنينة الطريق بينهما مثل ما بين تشاد وجنينا: رمال وعرة، أخذنا فيها أيضًا ستّة أيّام، حتى وصلنا الأبيض. **لما وصلنا مدينة الأبيّض نزلنا عند رجل عظيم يسمى محمد إسماعيل، وهذا رجل عظيم سلفي**، وكان الرجل هذا له اتصال قوي بشيخنا الشيخ محمد

عبد الله المدني الذي إن شاء الله سأعطيك عنه كلمة، فجئنا عنده ورحّب بنا وأنزلنا -أيضاً- في بيت، وأقمنا عنده مدة تقريبًا أظن نصف شهر. ثم بعدما عزمنا على السفر إلى الخرطوم -العاصمة المثلثة- رفض أن نسدّد أجرة القطار -لأن هناك القطار لا السيارة-، قال: لا، سفركم من الخرطوم إلى بورسودان، هذا كله على نفقتي، **لقد أكرمني إكرامًا ما أستطيع أصفه.**

فالحاصل: أدخلنا في القطار، وكلُّ شيء على نفقته سواءًا أجرة القطار ونفقة السفر كلّه، واتّصل بالتلفون برئيس أنصار السنة في أم درمان على أنك تستقبل الجماعة في الساعة الفلانية في محطة القطارات...))[1]

(١) المجموع ٢-٧٩٥\٧٩٦

(١٥)

واليوم الطرق المسفلتة بحاجة إلى إصلاح شديد!!

وقال-رحمه الله-: ((ومن خروجنا من بلدتنا إلى السودان لم نرى أيّ أثر للكهرباء والطرق المسفلتة إلا في السودان الذي لم تواجهنا فيه أية عقبات))[١]

(١٦)

ولايات ومدن مرّ بها الشيخ!!

جازت سواكن فالسلوم عن كثب ... فقطر عَطْبَرَة من دون إرشاد

فأم درمان فالخرطوم ودمرِتي ... منار تَنْدَلْتِي مأوى كل رواد

ثم الأُبَيِّض من قبل النُّهود إلى ... جبال حِلّة دون أم كدَّاد

فكبكبية بعد الفاشر اشتبكت ... فيها أفانين أزهار وأوراد

ثم الجنية مأوى كل فاكهة ... دار المساليت أمجاد وأنجاد.[٢]

(١٧)

قاضي الجنينة رجل شهم!!

قال-رحمه الله-: ((لما كنتُ في السودان نزلتُ على رجلٍ عالم جمع خصالاً كثيرة من الخير، وكنت أساعدُه على القضاء، وكان قاضيًا فقيهًا ماكياً....ولما أردت السفر والخروج من مدينة جنينه التي كان فيها قال لي: **لا تخرج وأقم هنا أزوّجك ابنتي وأعطيك بيتًا**، فقلت له: إن هذه البلاد يحكمها الكفّار أي: بريطانيا، وهذا السببُ جعلني أخرج من بلدي، كما أني لا أريد الزواج الآن، فإني خرجتُ لطلب العلم، ثم ودّعتُه وذهبت إلى الحرمين)).[٣]

---

(١) المجموع١-٢٦٨

(٢) المجموع٢-٦٥٢

(٣) المجموع١-٣٩٣

(١٨)

الشيخ وحبه وحرصه على الكتب!!

قال-رحمه الله-: ((ولقد عزمنا على التوجه إلى المملكة، وكانت الكتب في أربع شنط كبيرة أخذناها إلى الباخرة، فقال لي الإنجليزي المشرف على الرحلات: افتح الشنط، وفتحناها، وعندما رآها تعجّب وقال: أنتم تجّار كتب أم كتبيّون؟، قلت: لا، نحن طلبة علم، قال: لماذا الكتب الكثيرة، قلت: نحمل هذه نتعملها وندرسها؛ قال: هذه الكميّة لا يأخذُها أحدٌ إلا إذا كان تاجرًا، ولا بدّ من جمرك، قلت للمترجم: قل له: هذه الكتب لو أعطتني (بورسودان) لا أعطيك إيّاها لأنها كلها غير موجودة في الحجاز، فتعجّب وقال: ما دام الأمر هكذا أغلقوها وارفعوها للباخرة)).[١]

(١٩)

مدة جلوسه بالسودان

قال-رحمه الله-: ((أقمت في السودان أثناء الرحلة إلى الحرمين قريباً من سنة))[٢]

هذه بعض الفوائد التي وقفت عليها، وأحببت أن يقف عليها غيري ويستفيد منها.

وصلى وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المدينة النبوية. صفر ١٤٤٠هـ

---

(١) المجموع١ -٢٥٢

(٢) المجموع٢-٧٧٨